قصص
القرآن الكريم
(٢)

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

مصطفى أحمد عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أحلى القرآن الكريم ! وما أحسن قصصه ! قال الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف : ٣] .

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتناول قصصاً متنوعة ومفيدة ، منها قصص الأمم السابقة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ... وغيرهم ، ومنها قصص الأنبياء والرسل الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومنها قصص لأناس ليسوا بأنبياء ، لكنهم آمنوا بالله ودعوا قومهم لعبادته ، ووقفوا مع الحق أمام الباطل .

وموضوعات قصص القرآن متعددة ، والمسلم العاقل الرشيد هو الذي يتعلم من القصص القرآني العبرة والعظة ، فيزداد إيمانه بالله سبحانه ، ويثق في أن الإسلام هو دين الله الذي يُصْلِح الله به الكون .

قلنبدأ أيها الأحبة بقراءة قصص القرآن الكريم ، كما تحكيها لنا آيات القرآن ، يقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١] .

قصة إخوة يوسف

جعل الله سبحانه النبوة في ذرية إبراهيم ، فكان من بعده إسماعيل وإسحاق ، ورزق الله إسحاق يعقوب ، ورزق يعقوب اثني عشر ولداً من بينهم يوسف عليه السلام .

وذات ليلة ، رأى يوسف في منامه – وهو صغير – أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له ، فحكى رؤياه لأبيه يعقوب ، فعرف أن ابنه يوسف سينال منزلة عالية بحيث يخضع له إخوته وأبوه ، فأمره أن يكتم رؤياه ولا يقصها على إخوته حتى لا يحسدوه ويؤذوه .

ولاحظ إخوة يوسف أن أباهم يعقوب يحب يوسف محبة شديدة ، فحسدوه ، وتشاوروا في التخلص منه .

وفي أحد الأيام ، اجتمعوا وقال أحدهم : (**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**) فصاح أحد إخوته ، وطلب منهم أن يلقوه في بئر ، لعل أحد المارَّة يجده فيأخذه .

ثم ذهبوا إلى أبيهم يعقوب ، وطلبوا منه أن يترك لهم يوسف ليلعب ويتنزه معهم ، فخاف يعقوب عليه السلام على يوسف من أن يأكله الذئب ، فأخبروا أباهم أنهم سوف يرعونه ويحفظونه ، فوافق يعقوب بعد أن رأى عزمهم على أن يحفظوه ويرعوه .

أخذ إخوة يوسف أخاهم ، وخلعوا عنه قميصه ، ثم ألقوه في البئر ، ولطخوا قميصه بالدم ، وجاءوا في المساء إلى أبيهم يبكون ، ويقولون : يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق ، وتركنا يوسف عند ثيابنا يحرسها ، فلما رجعنا إليه ، وجدنا الذئب قد أكله .

سمع يعقوب كلامهم وقلبه يتألم على يوسف ، وقد علم أن هذه مكيدة من إخوته ، فقال لهم : (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**) .

وفي البئر ، أنزل الله – سبحانه – على قلب يوسف السكينة والاطمئنان . وبينما هو كذلك ، جاءتْ جماعة مسافرة إلى مصر ، فبعثوا أحدهم ليحُضر ماءً من البئر ، فلما ألقى الرجلُ الدلوَ في البئر تعلَّق به يوسف ، فلما رآه الرجل قال : (**يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ**) . ثم أخرجه من البئر ، فأخذته القافلة ، وجعلوه ضمن بضاعتهم .

وفي مصر ، باعوا يوسف ، فاشتراه عزيز مصر ، وكان وزيراً على الخزائن ، ورأى في يوسف علامات النجابة والأصل الكريم ، فأمر امرأته أن تكرمه وتحسن إليه .

قصة يوسف وامرأة العزيز

في قصر عزيز مصر ، عاش يوسف عليه السلام تحت رعاية العزيز وزوجته ، وظلا يحسنان إليه ، ويعتنيان بتربيته حتى كبر وأصبح شابًّا قويًّا .

وكان يوسف شديد الجمال ، قوي الجسم ، فنظرت إليه امرأة العزيز ، فأعجبت به وأحبته . وتزينت له لتغريه بجمالها ؛ لكن يوسف أعرض عنها وغض بصره عن محاسنها . فانتظرت امرأة العزيز خروج زوجها العزيز من القصر فهيأت نفسها ، وأغلقت الأبواب ، وتعرضت ليوسف تريد منه أن يعصي الله ، فرفض بشدة ، وقال لها : (**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) ،

ورفض يوسف أن يفعل معها الفاحشة ، حتى لا يعصي الله سبحانه ، ولا يخون زوجها الذي أحسن إليه وربَّاه ، لكن امرأة العزيز أصرَّت على موقفها ، فأسرع يوسف إلى الباب ليخرج منه ، فأمسكت امرأة العزيز بثيابه ، فقطعتها من الخلف ، وفتح يوسف الباب وامرأة العزيز وراءه ، فوجدا العزيز قد حضر ، فأسرعت امرأته إليه تتهم يوسف ، وتقول : **(مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** ، فأسرع يوسف ينفي التهمة عن نفسه فقال : **(هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)** . وشهد شاهد من أهل امرأة العزيز بالحق ، فقال : إن كان قميص يوسف قطع من الأمام فهي صادقة وهو كاذب ، أما إن كان قميصه قطع من الخلف فهي كاذبة وهو صادق .

فلما رأى العزيز أن القميص قطع من الخلف ، أدرك أن زوجته كاذبة ، وأن يوسف صادق ، فأمره أن لا يذكر ما حدث ، وقال لزوجته : **(اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)** .

وشاعت قصة يوسف مع امرأة العزيز في المدينة ، وسمع النساء بما حدث ، فتكلمن عن امرأة العزيز ، وسخرن من فعلها ، فدبرت لهن حيلة كي يرين يوسف ، فيلتمسن لها العذر ، فدعتهن إلى قصرها ، وأجلستهن على فراش مريح ، وأعطت كلَّ واحدة منهن سكيناً للفاكهة ، ثم أمرت يوسف أن يدخل عليهن ، فلما شاهد النساءُ يوسفَ انبهرن بجماله ، وقطَّعن أيديهن بالسكين دون أن يشعرن بذلك ، **(وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)** ، فقالت امرأة العزيز لهن : هذا هو الفتى الذي تعجبتن من تعلقي به ، ولقد حاولتُ إغراءه فامتنع ، وإن لم يفعل ما آمره فسوف أسجنه وأهينه .

لكن يوسف عليه السلام لم يتأثر بتهديدها ولا بإغراء النسوة له . وتوجه إلى ربه يدعوه أن يصرف عنه كيد النساء ، ولو إلى السجن فإنه أحب إليه من الفاحشة والمعصية ، فقال : **(رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** .

قصة يوسف السجين

أمر الملك بأن يدخل يوسف عليه السلام السجن خوفاً من الفتنة وإثارة الشائعات ، ودخل معه رجلان ؛ كان أحدهما ساقياً للملك ، وكان الآخر خبَّازاً يصنع للملك الطعام .

وفي إحدى الليالي ، رأى كل من الخباز والساقي حُلماً ، فأسرعا إلى يوسف ، وأخبره الساقي أنه رأى نفسه يعصر عنباً . أما الخباز فقد رأى أن على رأسه خبزاً تأكل منه الطير ، وطلبا مَنْ يفسر

لهما ما رأيا . فاغتنم يوسف هذه الفرصة ، وأخذ يدعوهم إلى الله سبحانه ، ويبين لهم ضلال الكفر والشرك بالله ، ثم فسَّر للأول رؤياه بأنه سوف يخرج من السجن ، ويعود ساقياً للملك كما كان . وأما الخباز فسوف يُصلب وتنهش الطير الجارحة لحمه . ثم طلب يوسف من الساقي أن يذكر قصته عند الملك ، وأن يذكِّره بأن في السجن مظلوماً بريئاً .

وتحقق تأويل يوسف ، فعاد الساقي إلى الملك ، لكنه نسي أن يذكر له حكاية يوسف ، فظل يوسف سنين عديدة في السجن ، كان فيها يدعو إلى الله ، ويُحدِّث الناس عن الله الخالق العظيم .

قصة رؤيا الملك

في إحدى الليالي ، رأى ملك مصر في منامه سبع بقرات ضعيفات هزيلات يأكلن سبع بقرات سمان ، ورأى سبع سنابل يابسات جافات وسبع سنابل خضر ، ففرغ الملك من هذه الرؤيا ، ودعا رجال الدولة ، وحكى لهم ما رأى ، وطلب منهم تفسير تلك الرؤيا . فعجز الجميع عن تفسيرها ، وقالوا له : إنها مجرد أوهام وأحلام .

وعندما سمع الساقي ذلك ، تذكر يوسف في السجن ، وكيف أنه كان يفسر الأحلام بحكمة وصواب ، فاستأذن من الملك ليذهب إلى يوسف في السجن ويأتي له بتفسير تلك الرؤيا العجيبة .

ذهب الساقي إلى يوسف في السجن ، فقال له : (**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**) . ففسَّر له يوسف الرؤيا بأنه سوف تأتي على مصر سبعة أعوام كلها خير ونماء وخصوبة ، ثم تأتي بعدها سبع سنوات ينتشر فيها الجدب والجفاف وتقل الثمرات ، ثم يأتي عام يغمر الناس فيه المطر فينتشر الخير ، وأرشدهم يوسف إلى أن يزرعوا في الأعوام السبع الخصبة ، ويوفروا مما يحصدون بقدر الإمكان استعداداً لسنوات القحط والجفاف .

وذهب الساقي بتفسير الرؤيا إلى الملك ، فأدرك الملك مدى حكمة يوسف وعلمه ، فأمر بإحضاره ، ليضمه إلى أعوانه ويكون من خاصته .

فجاء رسول الملك إلى يوسف يطلب منه الحضور أمام الملك ، فرفض يوسف أن يخرج من السجن ، حتى تظهر براءته مما أثير حوله في قصة امرأة العزيز ، وقال لرسول الملك : (**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**) .

قصة يوسف الوزير

علم الملك برغبة يوسف ؛ فأمر بإحضار النساء ، وسألهن عن تلك الواقعة ، فشهدن بالحق ، وظهرت براءة يوسف ، واعترفت امرأة العزيز ، فقالت : **(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** .

فلما ظهرت براءة يوسف أمام الملك أمر بإحضاره من السجن عزيزاً مكرَّماً ، وجعله وزيراً له على خزائن البلاد .

تولى يوسف المسئولية ، وفاض النيل بالماء ، وأنتجت الأرض محصولا وفيراً ، وعمَّ الخير ، وانتشر الرخاء سبعة أعوام ، حتى جاءت سنوات الجفاف والقحط التي امتدت من مصر إلى بلاد كنعان بفلسطين حيث يعيش إخوة يوسف .

وفي إحدى السنين ، جاء إخوة يوسف إلى مصر ليبيعوا ما معهم من بضاعة ويشتروا بها القمح .

ودخل إخوة يوسف عليه يطلبون منه القمح ، فعرفهم لكنهم لم يعرفوه ، ولم يتوقعوا أن الطفل يوسف الصغير الذي ألقوه في البئر قد أصبح وزيراً لمصر ، ولما اشتروا القمح ودفعوا ما معهم من بضاعة طلب منهم يوسف أن يُحضروا معهم في المرة القادمة أخاهم من أبيهم – وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق – .

ثم أمر يوسف خدمه أن يردوا إلى إخوته بضاعتهم ويدسوها في أمتعتهم ، حتى يظنوا بوزير مصر خيراً ؛ فيعودوا مرة ثانية إليه ومعهم أخوهم بنيامين .

رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، وأخبروه أن الوزير لن يكيل لهم ، ولن يعطيهم مرة ثانية إلا إذا أحضروا أخاهم بنيامين معهم ، فتذكر يعقوب عليه السلام ما حدث ليوسف ، ورفض أن يعطيهم بنيامين ، وقال لهم : **(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ)** .

ولما فتح إخوة يوسف أمتعتهم ، وجدوا بضاعتهم التي أخذوها معهم لكي يشتروا بثمنها قمحاً ، فأخبروا أباهم ، وطلبوا منه أن يصطحبوا أخاهم بنيامين ، وأعطوه عهداً بالمحافظة عليه وإعادته سالماً ، فاطمأن يعقوب ، وتركهم يأخذون بنيامين معهم إلى مصر .

وسافر إخوة يوسف إلى مصر ، ومعهم بنيامين ، ودخلوا على يوسف ، وكان يوسف قد دبَّر حيلة ليحتفظ بأخيه بنيامين إلى جواره في القصر ، فأخبره يوسف بحقيقته ، وأعطاهم القمح ، ثم وضع مكيال الملك فيما سيحمله بنيامين من الأمتعة . وحينئذ ، نادى المنادي بأن مكيال الملك قد سرق .

وكان عقاب السارق آنذاك أن يصبح عبداً للمسروق منه ، ففتشوا أمتعتهم واستخرجوا المكيال من بضاعة بنيامين ، وبذلك أخذ يوسف أخاه بنيامين واستبقاه معه ، وطلب الإخوة من يوسف أن يأخذ أحدهم بدلا منه ، فرفض ، وقال : (**مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ**) .

ولما يئسوا منه رجعوا ، ورفض أخوهم الأكبر أن يعود معهم ، وبقي في مصر ، وكانوا لا يعرفون أن الذي يحدثهم هو أخوهم يوسف ، فعاد الإخوة التسعة ، وتركوا كبيرهم ، فأخبروا أباهم بما حدث ، فلم يصدقهم ، وقال لهم : (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**) .

وتذكر يعقوب عليه السلام ما أصاب يوسف من قبل ؛ فبكى بكاءً شديداً ، حتى عميت عيناه ، فأخذ أبناؤه يواسونه حتى يرحم نفسه من البكاء والحزن ، فقال لهم : (**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**) . ثم طلب منهم أن يرجعوا مرة ثانية إلى مصر ، فيبحثوا عن يوسف وأخيه ، وقال لهم : (**يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**) .

ذهب أبناء يعقوب إلى مصر ودخلوا على يوسف – وهم ما زالوا لا يعرفونه – وطلبوا منه أن يُحسن إليهم ، ويتصدق عليهم ، عندئذ قال لهم يوسف : (**هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**) ؟ فأدركوا أنه يوسف ، فسألوه متعجبين : (**أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ**) ؟! فقال لهم : (**أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**) .

وهنا عَلَتِ الدهشة وجوههم ، وظهرت عليهم علامات الخجل والندم ، وأخذوا يعتذرون ويطلبون من يوسف أن يعفو عنهم ، فعفا عنهم .

وعلم يوسف بحال أبيه ، فأعطاهم قميصه ، وقال لهم : (**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**) .

قصة اللقاء

أخذ إخوة يوسف قميصه ، وخرجوا من مصر متوجهين إلى أبيهم ، فأحس يعقوب برائحة ابنه يوسف ، فقال لمن حوله : (**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ**) . واستمر يعقوب على أمله في لقاء يوسف .

ووصلت العير ، ودخل البشير على يعقوب بقميص يوسف ، فألقاه على وجهه ، فعاد إليه بصره ، فقال لأبنائه : (**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**) ، فقال أبناؤه : (**يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**) .

فاستغفر لهم يعقوب ، وتوجهوا جميعاً إلى مصر ، فاستقبلهم يوسف ، وأنزل والديه منزلة كريمة ، وطلب منهم أن يقيموا في مصر آمنين . وسجدوا جميعاً ليوسف سجود تحية وتسليم .

وهكذا تحققت رؤيا يوسف ، فقال لأبيه : (**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً**) . ثم توجه يوسف إلى ربه بالشكر والثناء قائلا : (**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**) .

وهكذا كان يوسف مثلا في الصبر والعفة والحياء والصفح والعفو .

قصة شعيب

كان أهل مدين يقطعون الطريق ، ويخيفون الناس ، ولا يعطونهم حقوقهم ، ويغشون في الكيل والميزان ، ويعبدون شجرة من دون الله سبحانه .

فبعث اللهم إليهم شعيباً عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وأمرهم بالعدل والإحسان ، ونهاهم عن ظلم الناس وإنقاص الكيل والميزان ، فرفضوا وقالوا مستهزئين : (**يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**) .

وبيَّن لهم شعيب أنه رسول من عند الله ، لا يريد لهم سوى الإصلاح ، وحذَّرهم من الاستمرار في الضلال حتى لا يحلَّ بهم العذاب كما أصاب قوم نوح وهود وصالح ولوط من قبلهم . وأمرهم أن يتوبوا إلى ربهم ، فقال : (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**) .

لكنهم عاندوه ، وهدَّدوه بأن يخرجوه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ، وطلبوا العذاب واستعجلوه .

فأنزل الله عليهم العذاب ، وزُلزلت الأرض من تحتهم زلزالاً شديداً ، وأرسل الله عليهم صيحة شديدة أهلكتهم ، وسحابة فيها نار وحرٌّ شديد أحرقتهم .

قصة أيوب

أنعم الله سبحانه على أيوب بالذرية الصالحة والأولاد الكثيرين وبالمال الوفير ، فشكر الله تعالى و لم يبخل بماله على الفقراء والمحتاجين .

واختار الله سبحانه أيوب ليكون من أنبيائه ، فأنزل عليه الوحي ، فازداد أيوب عبادة لله وإحساناً إلى الفقراء .

وشاء الله سبحانه أن يختبر أيوب ويمتحنه ويبتليه في كل ذلك ، ففقد جميع أمواله ، ومات كل أولاده ، وأصبح فقيراً لا مال له ولا ولد . ثم أصيب بمرض في جسده ، فأصبح ضعيفاً ، وانفض الناس من حوله و لم يَبْقَ إلى جانبه سوى زوجته الوفية المخلصة .

وظل أيوب مبتلىً ومصاباً في ماله وأولاده وصحته مدة طويلة ، لكنه لم ييأس من رحمة الله ، وتحمَّل كل ما أصابه بصبر جميل ورضا تام بقضاء الله سبحانه ، وتوجَّه إلى الله يدعوه ، ويقول : (**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) .

وبعد صبر طويل ، أمره الله أن يضرب الأرض برجليه ، ففعل ، فتفجرت عين ماء صافية باردة ، فاغتسل منها يوب ، وشرب من مائها ، فشفاه الله ، وأصبح صحيحاً معافىً ، ثم ردَّ الله عليه أمواله ، ورزقه أولاداً آخرين صالحين . قال تعالى : (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**) .

وهكذا كان أيوب عليه السلام مثلا في الصبر والرضا وطاعة الله سبحانه في الفقر والغنى ، وفي المرض والصحة .

قصة ميلاد موسى

علم فرعون بأن نبوءة انتشرت في بني إسرائيل بأنه سوف يولد فيهم صبي يكون هلاك فرعون على يديه ، فجمع حاشيته وكبار قواده ، ثم أمرهم بقتل كل طفل رضيع يولد في بني إسرائيل .

انطلق جنود فرعون يفتشون في الديار ، فإذا وجدوا طفلا رضيعاً قتلوه دون رحمة ، غير مهتمين بدموع الأمهات وتوسلات الآباء .

وكان هناك بيت صغير على ضفاف النيل ، ولد فيه طفل رضيع هو موسى ، ولم يصل إليه جنود فرعون .

وشعرت أم موسى بالقلق على مصير ابنها . فرحم الله ضعفها ، وأوحى إليها (**أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**) . فصدَّقت أم موسى وحي ربها ، واستجابت لأمره ، فوضعت ابنها الرضيع في صندوق صغير ، ثم وضعته في النهر ، وأمرت ابنتها أن تراقبه .

وظل الصندوق عائماً فوق سطح الماء ، حتى دفعه الموج بالقرب من قصر فرعون ، فالتقطته الجواري ، وأسرعن به إلى امرأة فرعون . فلما رأت الطفل أحبته ، وطلبت من زوجها ألا يقتله ، وقالت له : (**قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**) ، فنزل فرعون على رغبة زوجته ، وتركه .

ففرحت امرأة فرعون به ، وأمرت بإحضار من ترضعه ، لكن الله سبحانه حرَّم عليه المراضع ، فلم يَقبل الرضاعة من أي امرأة ؛ فخافت زوجة فرعون عليه ، وأمرت بالبحث في كل مكان عمن ترضعه .

وكانت أخته تراقب الموقف من بعيد ، فقالت : (**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**) . فوافقوا ، فعادت البنت لتخبر أمها بالخبر ، فجاءت أم موسى ، وأخذت الوليد بين ذراعيها ، ثم قرَّبته من صدرها ، فرضع منها في الحال .

وفرح الجميع حينما رأوا موسى يرضع من تلك المرأة ، فطلبت أم فرعون من أم موسى أن تقيم عندها فترضعه ، فرفضتْ وتعلَّلتْ بأن لها زوجاً وأولاداً يحتاجون إلى رعايتها ، وعرضت أم موسى عليها أن تأخذه معها ، فوافقت وأعطتها أجراً نظير الرضاعة ، فعادت أم موسى بابنها إلى دارها راضية (**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**) .

قصة خروج موسى إلي مدين

عاش موسى في قصر فرعون حتى كبر ، وأصبح شابًّا قويًّا ، وكان يحب الخير ، وينصر المظلوم ، ويساعد العاجز والمسكين ، ويعين المحتاجين .

وذات يوم ، رأى موسى رجلا من قومه بني إسرائيل يتشاجر مع رجل مصري ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى ، فوكز موسى المصري بعصاه ؛ فوقع ميتاً . فاستغفر موسى ربه وتاب وندم .

وأصبح موسى خائفاً يفكر فيما سيحدث لو عرف القوم بما جرى . ومرة أخرى تشاجر الإسرائيلي مع رجل آخر ، وطلب من موسى أن ينصره ، فغضب موسى منه ، وأخذ يؤنبه ويلومه على كثرة شجاره ، وقال له : **(إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)** . وفوجئ موسى بأن الرجل يفشي سره ، ويقول له : **(يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ)** ، وانتشر الخبر بين الناس ، وعرفه فرعون ، فأمر بقتل موسى والانتقام منه .

وجاء رجل من أقصى المدينة إلى موسى ، وقال له : **(يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)** ، فازداد خوف موسى ، وخرج من مصرسريعاً ، خشية أن يدركه أحد من جنود فرعون ، واتجه موسى إلى الله يدعوه ، ويقول : **(رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** .

وظل موسى يسير في الصحراء ، حتى عبر سيناء ووصل إلى بلد تسمى مدين ، فوجد الناس مجتمعين حول بئر ماء ليسقوا أغنامهم ، ويأخذوا حاجتهم من الماء . وشاهد فتاتين تقفان بأغنامهما بعيداً عن الزحام ، فتعجب من ذلك ، ثم تقدم إليهما وسألهما عن سر ابتعادهما عن الناس ، فأجابتا بأنهما ينتظران حتى ينتهي الزحام ويبتعد الرعاة ، وأن سبب خروجهما من بيتهما هو ضعف أبيهما وكونه شيخاً كبيراً لا يقدر على العمل ، فقابل موسى هذا الحياء وهذه العفة من الفتاتين بالشهامة والنجدة ، وسقى لهما الأغنام .

وكان موسى متعباً مجهداً ، فجلس تحت ظل شجرة ، وظل يدعو الله سبحانه أن يُنزل عليه من فضله وكرمه قائلاً : **(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)** .

وبعد قليل ، رجعت إحدى الفتاتين وأخبرته بأن أباها يريد أن يجزيه أجر السقاية ، فلما ذهب موسى إلى ذلك الأب ، وكان رجلاً صالحاً ، حكى له قصته ، فطمأنه الرجل بأنه قد ابتعد عن فرعون وقومه ، ثم عرض على موسى أن يتزوج إحدى ابنتيه مقابل أن يرعى له الأغنام ثماني سنين أو

عشراً ، حسبما يشاء ، فوافق موسى ، وتزوج واحدة منهما ، وعاش معه في أرض مدين عشر سنين .

قصة عصا موسى

اشتد بموسى الشوق لرؤية أهله ، بعد قرابة عشر سنوات عاش فيها بعيداً عن مصر ، فأخذ زاده ومتاعه ، وانطلق هو وزوجته ، وسارا حتى وصلا إلى سيناء .

ودخل الليل على موسى وأهله ، وكان الجو مظلماً وبارداً ، فرأى موسى ناراً تظهر من بعيد ، فقال لأهله : (**امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً**) .

فلما اقترب موسى من النار ناداه الله سبحانه : (**يَا مُوسَى ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**) ، فلم يتمالك موسى نفسه من تلك المفاجأة ، فأزال الله عنه الرهبة وآنسه بالحديث ، فقال له : (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**) ، فشعر موسى بالأمان ، ورد قائلاً : (**هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**) . فأمره الله بأن يلقي العصا من يده ، فألقاها ، فإذا بها تتحول إلى حيَّة ضخمة ، ففزع منها ، وفرَّ هارباً ، فناداه ربه : (**يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**) . فاطمأن قلب موسى وعاد ، فقال له ربه : (**خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**) ، فأمسك موسى الحية ، فإذا بها تعود عصاً كما كانت . ثم أمره الله سبحانه أن يُدْخِل يده في جيبه ثم يخرجها ، ففعل موسى فإذا به يجد يده بيضاء منيرة كالقمر .

وقد أعطى الله موسى تلك المعجزتين لتأييده في دعوته إلى فرعون ، وطلب موسى من الله أن يؤيده بأخيه هارون ؛ ليعينه ويؤازره ويساعده في الدعوة ، فاستجاب الله له . وانطلق موسى مع أخيه إلى قصر فرعون . ولما دخلا عليه قال له موسى : (**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) ، فتكبر فرعون ، وقال له : (**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**) ، فقال موسى في رفق ولين : (**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**) .

فغضب فرعون ، ونظر إلى حاشيته يحرِّضهم ويثيرهم على موسى قائلاً : (**أَلا تَسْتَمِعُونَ**) ؟ فتوجه موسى هو الآخر إلى الحاضرين ، وقال لهم : (**رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**) ، فثارت ثائرة فرعون ، وقال : (**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**) ، واستمر موسى يتكلم عن ربِّه ويقول : (**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**) .

ثم نظر فرعون إلى موسى بغضب ، وقال وهو يهدده : (**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**) ، فردَّ عليه موسى بثبات : (**أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**) ؟ قل فرعون : (**فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) ، فألقى موسى عصاه ، فإذا بها تتحول إلى ثعبان عظيم ، فاندهش القوم ، وارتعد فرعون من هول المفاجأة ، ثم أخرج موسى يده من جيبه ، فصارت بيضاء منيرة للناظرين . فاتهم فرعون موسى بأنه ساحر ، وتوعده أن يأتي له بالسحرة ليهزموه .

وجاء اليوم الموعود ، فأحضر فرعون السحرة من كل مكان وتجمَّع الناس ، فقال السحرة لموسى : (**إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**) فطلب منهم موسى أن يبدءوا هم أولاً ، فألقوا حبالهم وعصيَّهم ، فسحروا أعين الناس ، حتى خُيِّل لهم أن الحبال والعصي ثعابين تزحف وتتحرك ، وهنا دعا موسى ربه ، ثم ألقى عصاه ، فصارت حية رهيبة عظيمة ، ابتلعت كل الحبال والعصي .

نظر السحرة في دهشة ، وعلموا أن ما صنعه موسى ليس من السحر ، وإنما هي معجزة من عند الله ، فسجدوا لربهم ، وأعلنوا إيمانهم بالله الواحد القهار ، فغضب عليهم فرعون ، وتوعدهم بالقتل والرجم والصلب ، ففضلوا الموت وهم مؤمنون على حياة الكفر والضلال .

مؤمن آل فرعون

كانت كفة موسى عليه السلام هي الأرجح ، فخاف فرعون أن ينحاز الناس إليه ، فلم يجد أمامه من سبيل غير أن يتوعد موسى بالقتل ويهدده ، فقال : (**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**) ، فلم يعبأ موسى عليه السلام بتهديد فرعون ووعيده ، وفوَّض أمره إلى الله ، وقال : (**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**) .

وكان من قوم فرعون رجل آمن بموسى ، ولكنه كتم إيمانه عن الناس ؛ فلما علم هذا الرجل أن فرعون سيقتل موسى قال : (**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ، يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا**) .

وهنا أحس فرعون بأن موسى ليس وحده ، وأن أتباعه يتزايدون باستمرار ، وكان لزاماً عليه أن يستميل قومه إلى جانبه بالكذب عليهم ، فقال لهم : (**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**) ، ووجد المؤمن أن سبيل الإقناع الهادئ لم يأتِ بثمرة مع هؤلاء المعاندين ، فلجأ إلى وسيلة أخرى لعلهم يتذكرون ، فيخضعون لأمر ربهم ، فراح يذكر لهم أخبار الأمم السابقة ، وجزاء الأقوام الذين عصوا الله وكذَّبوا رسله ؛ فاستحقوا الهلاك ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**) ، ولكنهم لم يستجيبوا لندائه ، ولم ينتفعوا بقوله ، فسلك بهم طريقاً آخر للدعوة ، فوضعهم أمام مشهد مثير من مشاهد يوم القيامة ، فقال : (**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**) .

ثم ذكَّرهم بما فعلوا من قبل مع يوسف ، فقال : (**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**) .

وطلب فرعون المغرور من وزيره هامان أن يبني له بنياناً عالياً ليصعد إلى السماء عسى أن يرى إله موسى .

وهنا ازداد الرجل المؤمن إيماناً بأن فرعون يخدع قومه ويأخذهم إلى التهلكة ، وأنه يضللهم ويخدعهم بزعمه الكاذب ، فأراد المؤمن أن يبين للناس أن الرشاد في الإيمان بالله وبما يدعو إليه موسى ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**) .

وكان الرجل فصيحاً بليغاً ، قادراً على التعبير عن دينه ومعتقده ، فاستطاع أن يدحض كثيراً من مزاعم فرعون وأكاذيبه ، ولم يَخَفْ من تهديدات فرعون ، بل إنه تعجب من حمقه وجهله إذ ظن أن العذاب يمكن أن يصرف المؤمن الحق عن دينه ، أو يثنيه عن تبليغ دعوته ، وقال في ثبات ويقين : (**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**) .

وأحس الرجل المؤمن أن هؤلاء الضالين لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ، ففوَّض أمره إلى ربه ومولاه ، يفعل ما يشاء ويختار ، وكان آخر ما قاله لهم : (**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**) .

هلاك فرعون

واشتد أذى فرعون لبني إسرائيل ، فأمرهم الله أن يخرجوا من مصر ، وعلم فرعون بخروجهم ، فجمع جنوده ، وانطلق خلفهم ، فلحق بهم عند ساحل البحر ، فلما رآه بنو إسرائيل تأكدوا أنهم هالكون ، وأن فرعون سيلحق بهم ، فقالوا – وقد ملأ الفزع قلوبهم - : (**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**) . فقال موسى في إيمان وثقة بالله : (**كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**) . فأوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه ففعل ، فانفلق البحر نصفين ، وظهر في وسط البحر طريق ممهد صالح للسير ، فعبر موسى وقومه إلى الضفة الأخرى للبحر ، وكان فرعون وجنوده يتَّبعونهم ، فأمر الله سبحانه المياه أن ترجع كما كانت ، فأغرقت فرعون وجنوده جميعاً ، ولم يبقَ منهم أحد . ومشى بنو إسرائيل في الصحراء ، فاشتدت عليهم حرارة الشمس وحلَّ بهم التعب والإرهاق ، وشعروا بالعطش الشديد ، فظلوا يبحثون عن الماء طويلاً دون جدوى ، وكاد الظمأ أن يفتك بهم . فدعا موسى ربه راجياً عفوه وطامعاً في فضله ، وطلب منه أن ينقذ قومه ، فاستجاب الله لدعائه ، وأوحى إليه أن يضرب صخرة كبيرة بالعصا ، فضرب موسى الصخرة بعصاه ، فانفجرت من الصخرة اثنتا عشرة عيناً من الماء ، فشكروا الله كثيراً ، وشربوا حتى ارتووا .

قصة عجل بني إسرائيل

بعد أن خرج موسى عليه السلام بقومه من مصر ، ووصل سيناء ؛ حدَّد الله سبحانه له موعداً ليناجيه ويكلمه ، ويعطيه الألواح التي فيها شريعة بني إسرائيل .

فاستعد موسى لملاقاة ربه ، وترك هارون يتولى أمر قومه ، وأخذ عليهم المواثيق أن يتمسكوا بإيمانهم .

وبعد أن ذهب موسى ، أغوى الشيطان رجلاً منهم اسمه السامري ، فقد أخذ السامري الحُليِّ من الذهب والفضة التي يمتلكها بنو إسرائيل ، فصنع منها تمثالاً مجوَّفاً على هيئة عجل ، وكانت

الريح إذا دخلته ومرت في تجاويفه ، يخرج منه صوت يشبه خوار البقر ، ففرح بنو إسرائيل به كثيراً ، ثم دعاهم السامري إلى عبادته فعبدوه . وحاول هارون أن يردهم عن ضلالهم ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**) . ولكنهم عاندوا وأصروا على الإشراك بالله ، وقالوا : (**لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**) .

وبينما كان موسى يناجي ربه ، ويأخذ عنه التوراة ، أخبره الله سبحانه بما فعل بنو إسرائيل ، وأذن الله له في الانصراف ، فحمل موسى ألواح التوراة ، وعاد إلى قومه وهو غضبان ، فلما رآهم ألقى الألواح من يده ، وأمسك برأس أخيه هارون يجرُّه بشدة ، وقال له : (**يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**) . فقال هارون معتذراً : (**يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**) .

وعاقب موسى السامري على فعلته بأن نفاه عن قومه ، وأمرهم ألا يخالطوه ولا يَقْربوه ولا يكلِّموه فلا يمس أحداً ولا يمسه أحد . ثم قام موسى إلى العجل فحرقه وألقى برماده في البحر .

وعندئذ عاد بنو إسرائيل إلى رشدهم ، وندموا لكن الله لم يقبل توبتهم ، وقال : (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**) . وأوحى الله إلى موسى أن يأمر قومه بقتل من عبد العجل ، فنادى موسى قومه وقال : (**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) ، فأمسكوا بأسلحتهم ، وظل يقتل بعضهم بعضاً ، فقُتِلَ منهم في ذلك اليوم عدد كبير . وهكذا استحق بنو إسرائيل ما حدث لهم ، فقابلوا الإحسان بالإساءة والنعمة بالكفر ، (**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) .

قصة بقرة بني إسرائيل

تربَّص رجل من بني إسرائيل برجل آخر ، ثم قتله وألقى جثته في الطريق .

وفي الصباح ، رأى بنو إسرائيل الجثة فارتفعت الأصوات بالصياح وكثرة الكلام ، واختلفوا فيمن قتله ، حتى كادوا أن يقتتلوا ، ثم ذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام وأخبروه بما حدث ، فقام موسى وصلى ودعا الله – سبحانه – أن يظهر الحقيقة ، فأمرهم الله سبحانه أن يذبحوا بقرة ، ثم يضربوا القتيل بجزء منها ، فيقوم حيًّا من موته ، ويخبرهم بمَنْ قتله ، فقال لهم موسى : (**إِنَّ اللَّهَ**

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) ، فلم يدركوا الحكمة من ذبح البقرة ، وظنوا أن موسى يسخر منهم ويستهزئ بهم ، فقالوا معترضين : **(أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً)** ؟! فقال : **(أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** .

فلما أدركوا خطأهم ، وعرفوا أنه وَحْيٌ من عند الله ، طلبوا من موسى أن يخبرهم بصفات تلك البقرة ، فأخبرهم أنها بقرة ليست كبيرة في السن ولا صغيرة ، لكنها وسط بين ذلك . ولأن موسى يعلم طبيعة بني إسرائيل وكثرة جدالهم ، نصحهم أن يسرعوا في تنفيذ أمر الله ، حتى لا يحلَّ عليهم غضبه .

لكنهم لم يستمعوا للنصح ، وقالوا : **(ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا)** ، لقد تشددوا وضيقوا على أنفسهم ، فاستحقوا أن يضيَّق الله عليهم ؛ فرد عليهم موسى : **(إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)** ، ومع ذلك لم ينفِّذوا الأمر ، بل ازداد عنادهم وجدالهم ، وطلبوا من نبيهم أن يسأل الله عن أوصاف أخرى ، فأعطاهم الله أوصافاً أكثر ندرة ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة لم تُسْتَعْمَلْ في حرث الأرض من قبل ، و لم تُسْتَخْدَمْ في سقي الزرع ، وأن يكون لونها أصفرَ فاقعاً غير مختلط بلون آخر .

وهنا علم بنو إسرائيل أنه لا بد لهم من تنفيذ ما أمر الله تعالى به ، فقالوا لموسى : **(الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ)** ، فأخذوا يبحثون حتى عثروا على هذه البقرة ، ولكن صاحبها رفض أن يبيعها لهم إلا بثمن كبير جدًّا ، فاشتروها ، ثم ذبحوها ، وتوجهوا إلى موسى .

فأمرهم موسى أن يضربوا القتيل بجزء منها ، فلما فعلوا ذلك أحياه الله ، فقام وأخبرهم بالذي قتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . وبذلك شاهد بنو إسرائيل تلك المعجزة بأعينهم ، وتأكدوا من قدرة الله – سبحانه – على البعث وإحياء الموتى .